آراء حرة

هل الحب من أول نظرة أعمق تأثيراً وأبعد مدى؟!

الحب، الحب، ذلك الجامع للقلوب، والآسر للنفوس، والفاتن للبشر.. تراك ماذا يخفي البشر باسمك، صدقاً وإخلاصاً، أم مكراً وخداعاً؟! أم الاثنين معاً؟!

ما بالك تارة تكون حنوناً رؤوفاً محباً مفعماً بالأمل، وطوراً تكون مدلهماً قاسياً لا تمنح إلا المرارة والألم. ما سر هذا التناقض فيك، إلام ترمز وتشير؟! ما هو مقصدك وما هي غايتك؟! بالله عليك دعنا نحيا في طمأنينة وسلام. ففي اغلب الأحيان كلما تسارع وخفق قلب متيم لأول نظرة مهراقة واختلج لنفحة عطره ظننا ان هذا هو الحب!

هل كلما خفق قلبان على وتيرة واحدة متناغمة يكون الاثنان فعلاً في حالة حب صادقة؟! أم إن للعقل دوراً رائداً في تحديد ما اذا كانت هذه الحالة حباً أم عاطفة جياشة، حتى لو بدا الاثنان في البداية انهما في شبه حالة عشق مستديمة؟!

لتنجلي غوامض الحب أمامنا لا بد لنا من ان نتساءل هل للحب قانون او ناموس أو حتى قواعد مادية؟! وهل الحب من أول نظرة يعتبر دائماً صائباً؟!

مخطىء من يظن أن للحب قانوناً فهو يتجاوز كل القوانين الأرضية طبعاً نحن نقصد بذلك الحب الجامع بين المرأة والرجل، وغير ذلك يعتبر شذوذاً فكرياً واخلاقياً، والشذوذ في الحب يعتبر انحرافاً تدينه الأديان برمتها، رغم ان بعض المجتمعات الغربية قامت بتشريعه لفقدانها معرفة حقيقية في تكوين باطن الإنسان وماهية الإنسان كفرد، معتبرة أن الحرية الجنسية حق مقدس، وكأن القداسة تنبع من الفلتان الاباحي واللاخلاقي!

الحب ليس فقط تجاذباً بين المرأة والرجل بل حب يسمو بالإنسان الى مراتب عليا من الوعي.. كونه يوقظ في الاثنين معاً (المرأة والرجل) حب التكامل، حب الأخذ والعطاء بغية ملء النقصان في كليهما. فإن كان الرجل ينقصه العطف والحنان قامت الحبيبة بذره انهار عواطف جياشة، وان كانت المرأة ينقصها المنطق الرزين البناء قام الرجل المحب بنشره اقحواناً وارجوان ليملىء وعيها بما تشتهيه نساء الارض وحوريات الزمان!

الحب من اول نظرة ينمو ويكبر شرط عدم الاكتفاء، فالاكتفاء في الحب يعني زوال الطموح فيه. انه تلك الاقصوصة التي تتناقلها الالسن عبر مسيرة الحياة للتأكد من قدسية الحب. هذه القدسية تصبح ذكاء متفتحاً وجدانياً من جراء الصدق في العلاقة والاخلاص للشريك وهما على درب التوحد سائران.

الحب رقرقة المشاعر بين المرأة والرجل، فيه تصقل النفس البشرية لتنجلي أسرار الفؤاد والروح..

الحب وميض في الكيان الانساني، غذاؤه العطاء، تفعيله يوقظ الذكاء البشري، ليسمو في مراحل لاحقة ويصبح ذكاء انسانياً، فيتحول الحب الى شعلة ذكاء متقدة سامية منتهاها ذكاء روحي لا محدود..

الحب، لا يتألق ما لم يباركه العقل.. كما النور الذي يتغلغل في ديجور الظلام ليحوله الى نهار مشرق جميل. كذلك الحب يسبر اعماق مجاهل نفسيهما (المرأة والرجل) ليحولهما الى كتلة نورانية متألقة تشعشع محبة وصدقا ووفاء، لأن مفعول الحب يفوق تأثير النور الارضي، الحب يتخطى كل الحواجز والعوائق المادية فينفذ الى اعماق القلوب العطشى لنبضه، بينما النور المادي اشعته يعصى عليها اختراق غلالة المادة بما فيها ابداننا. فحدة اشعة الحب يفوق تذبذب أشعة النور لأنها من صلب تكوينه. فيما الضوء المنعكس على الاشياء ينتمي الى الواقع المنظور.

الحب ميزان ومقياس، به يزن الانسان مقدار عشقه وعطائه او مقدار حزنه وشقائه من جراء الهجر والابتعاد والحب مقياس نقيس به مقدار تعلقنا بالحبيب، فإن كان حباً بناء واعداً ارتقى الى زواج ثماره ابناء صالحون. أما إن كان زواجاً مبنياً على حب جسدي شهواني فقط فسيهتز لأدنى الخلافات مما يؤدي الى عواقب قد تكون وخيمة. لكن لوعة الحب هي ما تحدد اذا كان الحب سيستمر ان بني على اسس سليمة واعية، كونها تصقل وعيهما لتقدح شرارة ذكاء متقدة قلما اختبر وهجها عشاق الروح!

نعم الحب المثالي وان ندر وجوده في ايامنا يؤله الانسان الايزوتيريك في كتابه الاخير ذكر أن الحب في منتهاه ذكاء، لأن الانسان يكون قد حقق تكامله الانساني اي تخلص من سلبيات النفس بعدما عرف نفسه وبقي عليه ان يتحد بنصفه الآخر الذي انفصل عنه في باكورة الحياة ليحقق هدف الخلق: التطور في الوعي وهذا لا يحدث الا بعد مرحلة التكامل الانساني، حيث مكونات المرأة والرجل تبدأ بالتقارب رويداً رويداً في مرحلة روحية سامية يدعوها البعض بالملكوت او النيرفانا الى ان يتحد الاثنان (المرأة والرجل) اللذان انفصلا عن الانسان الكامل الذي انبثقا منه اصلاً، وهذا ما يؤله الانسان كونه اصبح واعياً كماله بعدما وعى جوهر الاله القابع في باطنه الا وهو شعاع روحه..

مهما حاول الانسان التنكر للحب فهو لا يستطيع ان يحيا بدونه مهما عظم او قل شأنا، كهلاً كان او مسناً، فتياً في ربيع العمر او في سن الطفولة، فحتى الطبيعة بجميع عناصرها وممالكها لا تستمر دون الحب. ان تمعنا فيها سوف نرى ان المذكر لا ينجذب الا للمؤنث، فالموجب لا يستطيع ان يجذب الا السالب، لان الشذوذ في الطبيعة لا وجود له في قانونها، بل هو من صنيعة الإنسان الذي شذّ عن درب الحياة..

كل ما في الطبيعة سواء كان حيواناً أم نباتاً أو عناصر طبيعية، لا يتكاثر وينمو الا اذا اتحد الموجب ـ المذكر، بالسالب ـ المؤنث، فكم حري إذاً بالانسان!

فمهما حاول العلم استنساخ الانسان، فإن جميع محاولاته ستبوء بالفشل حتماً. لأن الحب بين المرأة والرجل هو المسبب في الانجاب.. سواء حدث من اول نظرة او من آخر نظرة او بوسائل عصرية أخرى..

فحتى المحبة القائمة بين البشر جزء منها مغروز في كل غريزة حيوانية لأجل استمرار مسيرة الحياة، وهذا لا يحصل الا بواسطة الحب سواء كان حباً واعياً ام لا واعياً. فكم انت عظيم ومبجل ايها الحب! لولاك لأكلت الكائنات جمعاء الى فناء.

مسيرة الحب عبر الزمن هدفها صقل وعي قطبي الوجود المرأة والرجل ليصبح الحب من ثم محبة كلية. في كل حقبة حياتية يقوم الحب بدور المنفذ الآمر لحب التلاقي مدى الأعمار، الى أن يجد النصف نصفه الأفضل المكمل له، الذي انفصل عنه في باكورة الوجود، وهذا نادر جداً ان يحدث من اول نظرة او اول لقاء، الا اذا تخلص كلا المرأة والرجل من سلبيات نفسهما وعمدوا من ثم الى التعرف الى اجهزة وعيهم الخفية ـ اجسامهم الباطنية، وعملوا بموجب قانون تطورها وارتقائها.

عندئذ يحدث تجاذب خارجي بينهما ثم تجاذب داخلي لمكوناتهما الباطنية الى ان يحدث الاتحاد في وحدة الانسان الكامل الذي انفصلا واستقلا عنه لا وعياً بغية العودة والاتحاد وهما واعيان وحدة كليهما..

المحبة الإلهية بمعنى المكوث في حضور الله او التآله في الحب تبدأ حبا بين المرأة والرجل سواء كان حبا من اول نظرة او من آخر نظرة، المهم ان هذه النظرة قد ادت غايتها بعد ان فعلت وعي كليهما لتصل الى مستوى الذكاء السامي بعد مراحل وحقبات حياتية متعددة، تارة تخبو فيها شعلة الحب وطوراً تقدح شرارة ذكاء مستديمة يدعوها الايزوتيريك بذكاء الروح.. بعدها تتحول شرارة الذكاء هذه الى نجمة تضيء سماء الكون عند الاتحاد والتآله، فيصبح الحب أزلياً سرمدياً مؤلهاً على مدى الاعمار.

هنيئاً لكل انسان اختبر الحب في جميع تقلباته، شقائه وهنائه، لوعته وفرحه، سعادته والمه، فهو حتماً على درب المجد لسائر.. ليغدو انساناً كاملاً يفيض محبة كلية بعدما وعى الحب المثالي المفعّل.

وطوبى لكل من ارتوى من نورانية الحب، ومبارك كل من رفعه الحب من حال بشرية وضيعة الى حال روحية سامية، فأشعة حبه ستشع علينا محبة كلية ومعرفة الهية وحكمة مستديمة بعدما تعمد كيانه بقداسة الحب!

المهندس طوني عبد النور

آراء حرة ـ